دار الحياة
www.daralhayat.com

أضعف الايمان - العرب بين خطابين

>
>داود الشريان الحياة - //09/04/01

الخطاب المفتقد للحد الأدنى من اللياقة والتهذيب الذي وجهه العقيد القذافي للملك عبدالله بن عبدالعزيز، في قمة الدوحة، ميز بين تقاليد الملوك ورعونة الثوار. الملك عبدالله حاول على مدى ست سنوات ان يتجاوز مرارة هذا التمييز، وسعى بحلم يرهق الحلم، الى تغييب هذه المقارنة الموجعة بين الخطابين السياسيين الذين عايشهما العالم العربي على مدى نصف قرن، لكن الرعونة اعيت من يداويها.

خطاب القذافي وموقفه المؤسف تكرر على مدى العقود الماضية بصيغ ومفردات مختلفة على لسان رؤساء وحكام عرب آخرين. ومن يعاود قراءة تاريخ العلاقة السعودية بالأنظمة الثورية العربية سيكتشف ان جميع ملوك السعودية السابقين تعرضوا لمواقف مشابهة. وكانت التقاليد الملكية السعودية، على الدوام، تترفع عن هذا المستوى من الخطاب والسلوك. لكن المشكلة التي عانت منها السعودية والمنطقة العربية من وراء الانظمة الثورية لم تقف عند حد الخطاب والبذاءة اللفظية.

فخطاب القذافي واسلافه ونظرائه الذين وصلوا الى الحكم عبر الانقلابات العسكرية والشعارات، عنوان موجع لحقبة سياسية لا تزال تعبث بمقدرات المنطقة، وتجثم على شعوبها. والمؤلم ان بعض هذه الانظمة تجاوز وعبث وظلم وأساء وهو يحكم، واستبقى النهج ذاته بعد رحيله.

ان الخطاب الثوري العربي المنفلت من عقاله هو تعبير عن المنهج السياسي لهذه الانظمة. واذا كان الاسلوب هو الرجل، فكيف تتوقع من رئيس يخاطب العالم بمفردات وعبارات مخجلة، ان يتعامل مع الحكم والسياسة. والمؤسف ان هذا الخطاب السياسي القبيح، تكرس عبر السنوات، وصار جزءا من الثقافة السياسية لهذه المنطقة ووصل الى وسائل الاعلام. واصبح العرب يخاطبون انفسهم والعالم بإسفاف لم تشهده الامة عبر تاريخها.

ولهذا فإن المصالحة التي يجري الحديث عنها تبدو صعبة في ظل وجود هذا السلوك والخطاب. فالقضية ليست خلافات حول وجهات نظر سياسية، بقدر ما هي محاولة شاقة لتأهيل انظمة عاشت وتكرست على ثقافة لم يعد من الممكن ترميمها والتفاهم معها. وقبل خطاب القذافي سمعنا خطاب البشير وهو يضع العالم تحت «جزمته»، وقبل البشير، تنوعت الشتائم على لسان رؤساء وقادة احزاب. القضية ليست لغة في ساعة غضب، لكنها نهج سياسي بدأ يتهاوى. والمصالحة مع هذا الخطاب ضرب من المستحيل. وتنامي هذه اللغة، والاعتزاز بها واعتبارها جزءا من ادوات النضال والمواجهة مؤشر الى دنو ساعة رحيل هذه الانظمة. اتركوها ترحل غير مأسوف عليها.

مجموعة الاتصالات الإعلامية Media Communications Group 2006©